

العباس بن علي

نصير الحسين عليه السلام



سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج

المستيد محمد تقي المكي رحمته الله

سلسلة أعلام النهضة الحسينية

2

العباس بن علي نصير الحسين عليه السلام

مناجاة المرحوم الديني آية الله العظمى الحاج
السيد محمد تقي المدرسي



حقوق الطبع محفوظة.

الطبعة الرابعة، 1439 هـ، 2018 م.



الكتاب: العباس بن علي نصير الحسين عليه السلام.

المؤلف: سماحة المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي.

تحقيق ونشر: مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت.



مركز العصر للثقافة والنشر
alasrr@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

سورة الأحزاب، آية: ٢٣.





المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد
وآله الميامين.

كنت أتحين الفرصة للوفاء بنذر كان لله عليّ منذ
عهد، أن أكتب موضوعاً حول سيّدنا العباس عليه السلام،
والذي بالرغم من قلة المصادر عن حياته يفرض نفسه
على المؤمنين الموالين لأهل البيت فرضاً؛ لأنه قد جسّد
في ساعات كل مثل الخير والفضيلة، ولكل فردٍ من
الموالين علاقة خاصّة بالعباس من خلال استجابة الله
دعائه عند التوسّل به. ثم حانت لي تلك الفرصة، وذلك
خلال سفرة عائلة اغتنتها وأملت الكتاب لزوجتي

عبر الكاسيت، وهي بدورها قامت بتحريره ثم صححته ووثقته، واليوم حيث يتَّخذ الموضوع طريقه إلى النشر، أسأل الله العلي أن يتقبله مني، وممن ساهم أو يساهم في إعداده ونشره، إنه نعم المجيب.

محمد تقي المدرسي

٧/ صفر الخير / ١٤١٦ هـ



(١)

الدرجة العالية

في تلك الأيام المبكرة من عمرنا حيث كُنَّا ننظر إلى الحياة بعين واسعة بريئة، ونَشْمُ عَبَقَ المثل بإحساس مرهف وروح شاعرية، في تلك الأيام كُنَّا نتوجّه -في ليالي الجمعة- تِلْقَاءَ حرم أبي الفضل العباس ابن علي عليه السلام في وطننا الجريح في كربلاء المُقدَّسة، فنَدَلِفُ إلى الصحن الشريف بشوق، وندخل الرواق برهبة. فإذا اقتربنا إلى ضريحه الميمون، ارتسمت في أذهاننا صورة ذلك البطل العظيم، ممتطياً صهوة جواده المُطَهَّم، ورجلاه تَخُطَّان الأرض، ووجهه كفلقة بدر^(١)، وفي يمينه الحُسام وقد حمل القربة يريد

(١) يقول المؤرخون: كان العباس وسيماً جميلاً، يركب الفرس

المشرعة، التي حاصرها أربعة آلاف مقاتل، وكلهم بها عمر بن سعد بقيادة عمرو بن الحجاج، وذلك منذ يوم تاسوعاء من عام ٦١ للهجرة، حيث قدم شمر بن ذي الجوشن إلى وادي كربلاء، ومعه رسالة من عبيد الله بن زياد (المُتسلِّط على الكوفة من قبل يزيد بن معاوية)، في تلك الرسالة أمر ابن زياد قائد جيشه عمر بن سعد بأن يمنع على الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام ماء الفرات.

فلَمَّا انتصف النهار من اليوم العاشر، وسقط العديد من أصحاب الحسين ومن أهل بيته عليهم السلام صرعى أثر العطش بأهل البيت، وبالذات بالأطفال الصغار، وارتفعت صيحات «العطش، العطش» فكادت تُمزق قلب سقّاء كربلاء أبي الفضل العباس، صاحب لواء العسكر الحسيني، والذي لُقّب بهذا اللقب بعد أن قاد حملة ناجحة إلى الفرات وجاء بالماء إلى المُخيّم قبل يوم عاشوراء حسب بعض التواريخ.

لقد كان العباس بطلاً شهدت له المواجهات

المُطهّم، ورجلاه تُحطّان الأرض، ويقال له: قمر بني هاشم. انظر: مقاتل الطالبين ص ٣٣.

العسكرية التي كانت بين الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وبين أصحاب الرّدّة، ولعلّه اشترك في فتح المشرعة مع أخيه الحسين عليه السلام في بعض المعارك عندما سيطر أصحاب معاوية على الفرات ومنعوا أصحاب أمير المؤمنين منه. فلما تمادى في غيّه، ولم يقبل نصيحة الإمام عليه السلام بفتح الشريعة سلمياً خطب الإمام علي عليه السلام في أصحابه خطاباً حماسياً، وكان فيما قال: «أرووا السيوف من الدماء، تُرووا من الماء..»^(١).

وحمل أصحابه على المشرعة بقيادة السبط الشهيد وأخيه العباس حسب هذه الرواية، فلمّا فتحوها أباحها الإمام لأعدائه كما جاء في بعض الروايات، بيد أن أهل الكوفة الذين حاربوا معاوية بالأمس تحت راية الإمام علي عليه السلام، انضوا اليوم تحت راية يزيد بن معاوية وعدّوا يحاربون سيد شباب أهل الجنة وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام، ويمنعونهم عن الفرات.

وها هو سيدنا العباس عليه السلام يجد نفسه مُحاطاً بأكثر من أربعة آلاف من الأعداء الشرسين، فهل يمنعه ذلك

(١) المناقب، ج ٣، ص ١٦٧.

من اقتحام المشرعة؟.

كلّا.. إن أصوات الاستغاثة التي ارتفعت من حناجر
آل الرسول منادية بالعطش، استنهضت البطل الأبي،
فتقدّم إلى الإمام الحسين عليه السلام واستأذنه في المبارزة،
بيد أن الإمام الحسين عليه السلام لم يأذن له في البدء قائلاً: «يا
أخي؛ أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرّق عسكري.
فقال العباس: قد ضاق صدري، وسئمت من الحياة
وأريد أن أطلب تأري من هؤلاء المنافقين.

فقال الحسين عليه السلام: فاطلب ل هؤلاء الأطفال قليلاً
من الماء»^(١).

حينما كنّا صغاراً، ونقف أمام ضريح أبي الفضل
العباس، كانت بصائرنا تتجه إلى مخيم الحسين عليه السلام،
حيث لا تزال كربلاء تحتفظ بآثاره وبذكريات العطش
لأولئك الصبية الصغار، والنساء الأرامل والشكالي،
فتكمل الصورة لذلك البطل واقفاً على المشرعة يطلب
الماء لأولئك الأبرياء، وكانت تلك الصورة ذات أثر
بالغ على أفئدتنا حتى لكأننا نجد حوادث واقعة الطف

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤١.

ماثلة أمامنا بكل لمساتها المثيرة.

فها هو العباس واقف على المشرعة، وقد أقحم
فرسه في الماء، ثم مَدَّ يديه واغترف غرفة من الماء،
وقربها إلى فمه الذابل من العطش، فإذا به يتذكر عطش
أخيه، فيرمي الماء على الماء، ثم يخاطب نفسه بكلمات
لا تزال العصور ترددها قائلاً:

يَا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ هُونِي
فَبَعْدَهُ لَا كُنْتُ أَنْ تَكُونِي
هَذَا الْحُسَيْنُ شَارِبُ الْمُنُونِ
وَتَشْرَبِينَ بَارِدَ الْمَعِينِ
هَيْهَاتَ مَا هَذَا فِعَالُ دِينِي
وَلَا فِعَالُ صَادِقِ الْيَقِينِ^(١)

وهكذا ترسم أمامنا صورة العباس عليه السلام عند زيارة
مرقده، وحيث كُنَّا نُسَلِّمُ عليه بتلاوة تلك الزيارة التي
تنضح بصائر وهدى، ثم نُصَلِّي لربِّنا ركعات، ندعوه
بدعوات، نعود بعد أن نرتشف من ندير وفائه كأساً،
ونغترف من بحر بصيرته غرفة، ونقتبس من نور إيمانه

(١) مقتل الإمام الحسين، لأبي مخنف، ص ٦١.

هدى.

تلك كانت مثلاً لزيارة مُحِبِّي أهل البيت عليهم السلام لمشهد أبي الفضل العباس عليه السلام في كربلاء المقدسة، حيث يتقاطر إليه الآلاف من كل مكان، وحيث تجد بينهم أصحاب الحوائج يدعون الله سبحانه مُتوسِّلِينَ إليه بالعباس عليه السلام، أو المتنازعين يحلفون عند ضريحه فلا يَجْرُؤُ أحد منهم بالكذب، لاعتقاد الجميع أن الله يُعَجِّلُ عليهم بالعذاب لو كذبوا، كما تجد المجاهدين الذين يتزودون من مرقد العباس العزيمة والاستقامة.

وإني إذ رسمت لك هذه الصورة أيها القارئ الكريم، في مستهل حديثي عن أبي الفضل العباس عليه السلام فإنما لكي نبحت من خلالها عن السر الكامن وراء هذه الحب والاحترام البالغين من قبل الملايين من المسلمين تجاه سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام، حتى إننا نستطيع أن نُؤكِّد أنه لا يحظى أحد من أهل بيت النبوة، بعد الأئمة المعصومين عليهم السلام باهتمام المؤمنين بقدر أبي الفضل العباس عليه السلام. فإن له مكانة عظيمة في قلوب المؤمنين، حتى أنه بِمُجَرَّد ما يُذكر اسم هذا البطل

العظيم، تتداعى لديهم مثل الوفاء والمواساة، والبطولة والإباء، والبصيرة النافذة، والإيمان الصلب.

ما السرُّ في ذلك؟

لقد حملتُ هذا السؤال إلى بعض الإخوة هنا وهناك قائلاً: إنه هناك قمماً مضيئةً في تأريخنا -نحن الموالين لأهل بيت الرسالة-، ابتداءً من أصحاب الرسول ﷺ، إلى أنصار الإمام علي عليه السلام، إلى حواري الإمام الحسن عليه السلام، وإلى أصحاب سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، وإن بينهم الفقهاء والقادة والأبطال، ولكن نور أولئك يخبو إذا سطع أبو الفضل العباس عليه السلام، لماذا؟.

كان جواب الأفاضل مُتقارباً حيث قالوا: إن السرَّ في ذلك أن العباس عليه السلام باب الحوائج، فما من أحد طرق هذا الباب إلّا قُضيت حاجته. وهناك الدعاء المعروف الذي يتلوه المؤمنون حينما تُصيهم ضائقة، وتُحيط بهم بائقة، يقولون: «إلهي، بحق كاشف الكرب عن وجه أخيه الحسين عليه السلام اكشف كربى».

قلت: بلى.. وإني شخصياً أُجرب ذلك دائماً، بل لا يمرُّ عليَّ يوم إلّا وأشهد هذه الحقيقة. فكلّما أصابتنى

أزمة، دعوت الله سبحانه وتعالى، وتوسّلت إليه بأبي الفضل العباس عليه السلام باب الحوائج، ونذرت له عليّ مئة صلاة على النبي وآله لأهدي ثوابها إلى روحه الكبير، فإذا بالكربة تنكشف، والأزمة تتفرّج.

ولكن السؤال العريض: لماذا خصّ الله سبحانه وتعالى أبا الفضل عليه السلام بهذه الميزة العظيمة؟. فما من أحد في شرق الأرض وغربها، يدعو الله بكربة أبي الفضل، إلّا ويفرج الله كربته؟. لماذا، ما هو السرّ في ذلك؟.

كان الجواب ما يلي:

لعلّ أحداً من أصحاب الحسين وأهل بيته عليهم السلام لم يمر بلحظة حيرة، كما عاناها سيدنا العباس عليه السلام في وسط المعركة، حيث كانت أُمّنيّته الوحيدة إيصال الماء إلى المخيم، حيث يتلظّى الأطفال عطشاً. لقد كانت القربة التي حملها بقايا يديه النازفتين، كانت أعلى عنده من حياته، وكان عشرات المئات من الرّماة يُمطرونه بوابل من السهام، فاختر العباس طريقاً قريباً إلى المخيم بين النخيل، لعله ينجو من الأعداء بالقربة،

ولكن الخيبة الكبرى كانت عندما وجد العباس سهماً
يخترق القربة، ويسيل ماءها، هنالك سألت نفسه مع
ذلك الماء، فوقف وسط المعركة، فلا يدين يذُبُّ بهما
عن إمام زمانه الحسين عليه السلام، ولا أمل له في الحياة.
فوقف آيساً من الحياة، عازماً على الموت.

بلى.. لعل تلك اللحظة التي عاشها أبو الفضل بكل
صبر ويقين كانت عظيمة عند الله، فعوّضه الله عنها بأن
جعله باباً للحوائج. أو ليس قد خابت حاجته في الدنيا.
بلى.. كذلك كان أبو الفضل، وكذلك يُعطي الله
سبحانه عباده الصالحين الذين يُخلصون العمل
له، يُعطي لهم أجراً جزيلاً وفضلاً كبيراً، وقد قال
تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ
الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ *
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

فإذا خلد الله ذكر الأنبياء عليهم السلام، وجعل السلام
عليهم في العالمين، لأنهم كانوا محسنين، ولأنه لا

(١) سورة يوسف، الآية ٩٠.

(٢) سورة الصافات، الآية ١١٠.

يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ؛ فَلَمْ تَسْتَغْرِبْ إِذَا أَكْرَمَ أَبَا الْفَضْلِ
الْعَبَّاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَوْقِفِهِ الْعَظِيمِ؟.

عندما جعل أُمْنِيَّتَهُ سَقَايَةَ أَهْلِ بَيْتِ الرِّسَالَةِ، وَلَمْ يُبَالِ
بِقَطْعِ يَمِينِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَلْ قَالَ وَبِكُلِّ صِرَاحِهِ:

وَاللَّهِ لَوْ قَطَعْتُمَا يَمِينِي
إِنِّي أَحَامِي أَبَدًا عَنْ دِينِي
وَعَنْ إِمَامٍ صَادِقٍ الْيَقِينِ
سَبْطِ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ الْأَمِينِ

ثم قطعت شماله فلم يبالِ، بل أنشد يقول:

يَا نَفْسُ لَا تَخْشِي مِنَ الْكُفَّارِ
وَأَبْشِرِي بِرَحْمَةِ الْجَبَّارِ
مَعَ النَّبِيِّ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
مَعَ جُمْلَةِ السَّادَاتِ وَالْأَطْهَارِ
قَدْ قَطَعُوا بِيْغِيهِمْ يَسَارِي
فَأَصْلِهِمْ يَارَبِّ حَرَّ النَّارِ^(١)

لقد اختصر ذلك الموقف حياة أبي الفضل عليه السلام،
وأظهرت شخصيته الرائعة التي كانت نتيجة جملة

(١) مقتل الإمام الحسين، لأبي مخنف، ص ٦١-٦٢.

عوامل تكاملت وتسامت.

ماذا كانت تلك العوامل؟. وكيف صاغت شخصية
أبي الفضل العباس عليه السلام؟. وكيف نقتبس منها لحياتنا
لكي نتجاوز ذواتنا المحدودة؟. ونُحلّق في آفاق سامية
من المُثل العليا؟.

نُجيب عن هذه الأسئلة إن شاء الله في الفصل التالي.





(2)

النشأة الهادفة

الربانيون من عباد الله يتميّزون بأنهم لا يُمارسون نشاطاً، إلا ابتغاء مرضاة ربّهم. قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

حركات عباد الله الربانيين تتّجه إلى قبلة واحدة، هي رضوان الربّ، وهكذا تجدهم إذا تزوّجوا أو ابتغوا ذريّة فلغاية ربّانية. فمثلاً امرأة عمران تنذر ما في بطنها مُحَرَّراً لله سبحانه، فيتقبّل الله سبحانه مريم بقبول حسن، ويُنبئها نبأاً حسناً، ويكفلها زكريا عليه السلام.

وكانت تلك الدعوة ذات أثر بالغ على مستقبل

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

جنيها، فإذا بها تلد مريم عليها السلام، التي جعلها الله تعالى وابنها المسيح عليه السلام آية للعالمين.

وكان الهدف الأسمى للإمام علي عليه السلام من زواجه من فاطمة بنت حزام الكلابية - أم العباس - أن يرزقه الله منها ولداً ينصر نجله الحسين عليه السلام في كربلاء.

تقول الرواية التاريخية: لقد قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لأخيه عقيل - وكان عالماً بالأنساب -: «انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً».

فقال له: تزوج بأم البنين الكلابية، فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها». وأضافت رواية أخرى بعد قوله: «فتلد لي غلاماً فارساً»، هذه الكلمة: «ينصر الحسين بطف كربلاء»^(١).

لقد رسم الإمام عليه السلام صورة واضحة لهدفه من الزواج حتى قبل انتخاب الزوجة، وهكذا رزقه الله سبحانه ذلك البطل الوفي المُواسي لأخيه، والناصح لإمام زمانه.

(١) العباس بن أمير المؤمنين، للمقرم، ص ١٩٤.

أما فاطمة الكلاية فقد كانت مثلاً رائعاً في المثل الأخلاقية، فعندما دخل بها الإمام علي عليه السلام سألها حاجتها، حسب عادة الزيجات يومئذٍ، طلبت حاجة وحيدة - حسب رواية تاريخية - بالألّا يُناديها باسمها فاطمة!.

لماذا وقد سمّتك أمّك فاطمة؟!.

قالت: بلى.. أخشى أنه كلّما تُناديني بهذا الاسم (فاطمة) أن يتذكّر أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام أمّهم فتتجدّد أحزانهم. فكناها الإمام بأم البنين.

ثم بعد عشرات السنين وبعد واقعة كربلاء تقول الرواية التاريخية: حينما قدم الإمام زين العابدين عليه السلام وسائر الأسارى إلى المدينة المنورة، أمر بشراً - وكان شاعراً - أن يتقدّم الركب وينعى الحسين عليه السلام لأهل المدينة، فاستقبلته أم البنين وأخذت تسأله عن الإمام الحسين عليه السلام.

أما بشر فقال لها: يا أم البنين، أجرك الله في ولدك عبد الله.

قالت: أخبرني عن الحسين؟.

فقال بشر: آجرك الله في ولدك جعفر.

قالت أم البنين: أخبرني عن الحسين يا بشر؟

قال بشر: آجرك الله في ولدك عثمان.

عادت أم البنين تسأل بشراً: أخبرني عن الحسين يا بشر؟

فقال بشر: آجرك الله في ولدك العباس.

وبالرغم من الحب العظيم الذي كانت تكُنُّه أم البنين لولدها البكر أبي الفضل العباس، فإن بشراً عندما أخبرها عن مقتل العباس عادت وسألت عن الحسين، وهي تقول: أخبرني يا بشر عن سيدي ومولاي الحسين. فلما قال بشر: آجرك الله يا فاطمة في الحسين، هنالك انهارت ولطمت وجهها وصاحت: واويلاه، واحسيناه.

إضاءة

■ لقد رسم الإمام علي صورة واضحة لهدفه من الزواج حتى قبل انتخاب الزوجة، وهكذا رزقه الله ذلك البطل الوفي المُواسي لأخيه، والناصح لإمام زمانه.

إن هذه المرأة كانت تُحبُّ أبناءها أشدَّ الحبِّ كأبي امرأة مؤمنة، ولكنها كانت أشدَّ حبًّا لله ولإمامها الحسين

عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهكذا تفتديه بأولادها. هذه الأم وذلك الأب ربًّا معاً العباس منذ نعومة أظفاره، وذلك لتحقيق تلك المسؤولية، ألا وهي الدفاع عن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وإذا كانت واقعة الطف مُقدَّرة معروفة في بيت الرسالة، فلا بد أن تكون أم البنين مِمَّن تعرف عنها شيئاً. فتعرف -مثلاً- أن العباس سيكون نصير الحسين الأول، ولا بد أن إرهاصات كانت تبدر في الأفق تدلُّها على ذلك، وهي تلك المرأة الحكيمة الشجاعة فُتِّعِدُّ أبنائها لها.

من ذلك -مثلاً- ما ذكره البعض من أن أم البنين رأت أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في بعض الأيام قد أجلس أبا الفضل عَلَيْهِ السَّلَامُ في حجره، وشمر عن ساعديه، وقبلها وبكى، فتعجَّبت وسألت زوجها الإمام عن سبب بكائه؟ فأخبرها بأن هاتين اليدين سوف تُقطعان في سبيل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فبكت ثم بشرَّها بمقام ولدها عند الله، وأن الله سوف يُعوِّضه عن يديه جناحين يطير بهما في الجنة -كما فعل بعمه جعفر الطيار-، فاطمأنت نفسها^(١).

(١) العباس بن أمير المؤمنين، للمقرم، ص ١٣٨.

وقد ذكر البعض صوراً شتى لمدى تعلق العباس بالحسين عليه السلام، وأنه منذ الطفولة كان سريع الاستجابة لطلبات أخيه. فإذا أبدى الحسين عليه السلام العطش، انطلق العباس يُسرع إلى كأس ماء ويأتي به ويُقدّمه إليه. وفي طول حياته لم يُخاطب أخاه بالأخوة. لماذا؟. أو ليس العباس ابن أمير المؤمنين وهو الشجاع البطل، فلماذا لا يُخاطب أخاه بكلمة يا أخي؟.

إن العباس ليعلم أن الحسين ابن بنت رسول الله، ابن فاطمة وما أدراك ما فاطمة! وأنه حجة الله عليه وعلى العالمين، وأنه سبط الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة؛ فلذلك لم يكن يُخاطبه إلا باحترام بالغ؛ يقول مثلاً: يا ابن رسول الله، يا سيدي، يا مولاي..

بلى.. إنه نادى أخاه بالأخوة مرة واحدة، وذلك حينما ضربه ذلك اللعين على أم رأسه، فخرّ من الجواد على الأرض فنادى: «يا أخاه، أدرك أخاك».

لماذا ناداه في تلك اللحظة بهذه الكلمة؟

لعلّه كان يُحقّق رغبةً كامنةً في نفسه، أن يدعو أخاه -ولو مرة واحدة- في العمر بتعبير يا أخي. أو ليس ذلك فخر

عظيم للعباس أن يكون له أخ مثل الحسين عليه السلام. فإذا كان الحياء قد منعه من ذلك من قبل، أو منعه احترامه لأخيه، فالآن حيث حان ميعاد الفراق لا بأس أن يُناديه بذلك.

وكما كان العباس يحترم الإمام الحسين، فإن الإمام الحسين عليه السلام كان شديد الحب والاحترام لأخيه. ففي عشية اليوم التاسع من محرم عام ٦١ هـ عندما زحف عسكر بني أمية على مخيم أهل البيت عليه السلام خاطب سيد الشهداء أخاه العباس بهذه الكلمات: «أركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم وتسألهم كما جاءهم». انظر إلى التعبير «بنفسي أنت»، إنها كلمة كبيرة تصدر من إمام معصوم.

وهكذا استقبلهم العباس في عشرين فارساً فيهم حبيب وزهير و.... وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن الأمير يأمر إما النزول على حكمه أو المنازلة.. فأخبر (العباس) الحسين، فأرجعه يُرجئهم إلى غد^(١).

(١) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٤١٦-٤١٧.





(3)

نافذ البصيرة

مِمَّا تَمَيَّزَ بِهِ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعِلْمَ، حَتَّى جَاءَ فِي حَدِيثٍ شَرِيفٍ: «قَدْ زُقَّ الْعِلْمُ زَقًّا»^(١)، وَعِلْمُهُ كَانَ نَابِعًا مِنَ الْبَصِيرَةِ وَالْيَقِينِ.

إِنْ بَصِيرَتُهُ جَعَلَتْهُ يَتَمَسَّكُ بِعُرْوَةِ الْوَلَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَإِنْ صَلَابَةِ إِيْمَانِهِ وَصَدَقَ يَقِينُهُ جَعَلَاهُ لَا يَأْبَهُ بِالْحَيَاةِ، فَحِينَمَا جَاءَ إِلَيْهِ شَمْرُ ابْنِ ذِي الْجَوْشَنِ فِي الْيَوْمِ الْتَّاسِعِ مِنْ شَهْرِ مُحْرَمٍ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِأَمَانٍ مِنْ عِنْدِ ابْنِ زِيَادٍ، وَأَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ، وَكَانَتْ بَيْنَ شَمْرٍ وَأَبِي الْفَضْلِ

(١) أسرار الشهادة، ص ٣٢٤. قال: جاء المأثور عن المعصومين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ زُقَّ الْعِلْمُ زَقًّا».

العباس علاقة الخؤولة، لأن أم البنين عليها السلام كانت من تلك القبيلة التي ينتمي إليها الشمر بن ذي الجوشن، فجاء شمر حاملاً الأمان، ودعا أبا الفضل وإخوته قائلاً: «أين بنو أختنا؟». سكت إخوة العباس احتراماً لأخيهما الأكبر، وسكت العباس احتراماً لإمامه، وحجة الله عليهم الحسين عليه السلام، وكرّر شمر النداء، وبقي أبو الفضل ساكناً لا يُجيبه، فقال الحسين عليه السلام لهم: «أجيبوه ولو كان فاسقاً».

قالوا (لشمر): ما شأنك وما تريد؟.

قال: يا بني أختي أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد.

فقال له العباس: لعنك الله، ولعن أمانك. تَوَمَّنَّا وابن رسول الله لا أمان له، وتأمّرنا أن ندخل في طاعة اللعناء^(١)، وأولاد اللعناء؟.

فرجع الشمر مغضباً. انظروا إلى يقين العباس، ذلك اليقين الذي وصفه به الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «كان عمُّنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب

(١) العباس بن أمير المؤمنين، للمقرم، ص ١٩٣.

الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً^(١). فالعباس عليه السلام كان يعرف أن الزمن يُطوى بسرعة، وأن الحياة لا تبقى لأحد، وأن الأبدان قد خُلقت للموت، فلم البخل بها عن الشهادة وهي أرفع وسام، وقد قال الحسين عليه السلام:

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت

فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

وهكذا حينما دخل المشرعة، واغترف الغرفة من الماء كانت كلمته رائعة حينما قال عليه السلام:

والله ما هذا فعال ديني

ولا فعال صادق اليقين

لقد كان أعظم ما في العباس عليه السلام يقينه، وهذا ما نقرؤه في زيارته التي سوف نستعرضها في فصل قادم إن شاء الله، لقد انفتحت بصيرة العباس منذ سنٍّ مبكر على حقيقة التوحيد، ولذلك تجده عندما يُجلسه والده سيد العارفين أمير المؤمنين عليه السلام في حجره المبارك وهو صبي فيقول له: «قُلْ وَاحِدٌ. فَقَالَ: وَاحِدٌ. فَقَالَ عليه السلام:

(١) العباس بن أمير المؤمنين، للمقرم، ص ٢٠٨.

قُلْ اِثْنَانِ. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اُسْتَحْيِ اَنْ اَقُولَ بِاللِّسَانِ الَّذِي قُلْتُ وَاحِدًا اِثْنَانِ^(١).

بلى.. إن قلبه الذي وعى وحدانية الرَّبِّ، كيف يسمح له بأن يقول اثنين؟.

وكما يقين أبي الفضل، كذلك تسليمه لله كان في

القمة. بلى، إن صفة

التسليم ناشئة من حقيقة

اليقين. وسوف نعود إلى

نصوص زيارته، وترى

كيف تُؤكِّد على صفة

التسليم، وأي تسليم

أعظم من الطاعة التامة

لإمام زمانه، والصبر معه

حتى الشهادة.

إضاءة

■ إن بصيرة العباس

بن علي، جعلته

يتمسك بعروة الولاية

الإلهية، وإن صلابة

إيمانه وصدق يقينه

جعلاه لايأبه بالحياة.

وكان من صفاته عَلَيْهِ السَّلَامُ البطولة النادرة، وإنما حمل

لواء الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لشجاعته النادرة، وبطولته العظيمة.

قال بعض الرواة: إن العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ شارك في حرب

(١) مستدرک الوسائل، ج ١٥، ص ٢١٥.

صفيين مشاركة فعالة، وقالوا: «خرج من جيش أمير المؤمنين عليه السلام شاب على وجهه نقاب تملوه الهيبة، وتظهر عليه الشجاعة يقدر عمره بـ (١٧) سنة، فطلب المبارزة فهابه الناس، وندب معاوية إليه أبا الشعثاء فقال: إن أهل الشام يعدونني بألف فارس، ولكن أرسل إليه أحد أولادي، وكانوا سبعة. وكلما خرج أحد منهم قتله حتى أتى عليهم، فسأ ذلك أبا الشعثاء وأغضبه، ولما برز إليه ألحقه بهم، فهابه الجميع، ولم يجرؤ أحد على مبارزته، وتعجب أصحاب أمير المؤمنين من هذه البسالة التي لا تعدو الهاشميين، ولم يعرفوه لمكان نقابه. ولما رجع إلى مقره دعاه أمير المؤمنين وأزال النقاب عنه، فإذا هو العباس عليه السلام^(١).

والبطولة لا تعني مجرد مُنازلة الأقران، بل جملة صفات إنسانية سامية كالشجاعة والإباء والتضحية والوفاء والمواساة. وهكذا كان العباس عليه السلام؛ انظروا كيف حارب، وكيف استشهد.

لقد استشهد العباس وهو يطلب الماء للعطاشى،

(١) العباس بن أمير المؤمنين، للمقرم، ص ٢٧٥.

وكان اهتمامه بالماء أكثر من اهتمامه بنفسه، فلم تكن غايته كشف العدو عن نفسه بقدر ما كانت غايته الاحتفاظ بالسَّقاء سالماً، لإيصاله إلى حيث العطاشى من أهل بيت الرسالة.

هذا هو الذي يجعلنا نقف إجلالاً لبطولته النادرة، بينما أعداؤه حاربوه بالغدر. لقد كانوا أجبن من مواجهته، حيث رشقوه بالسهم، ثم كمن له أحدهم من وراء نخلة واغتال يده. كانت الضربة مجرد فتك، وهكذا تتجلى شجاعة سيدنا العباس عليه السلام كما يتبين مدى جبن الطرف الآخر، وهو لم يزل يسعى لإيصال الماء إلى المخيم. هذه هي الشجاعة النادرة التي يقف التاريخ إجلالاً لها.

أما وفاءه فهو الآخر في القمة، حيث استقام في الدفاع عن حجة الله حتى آخر لحظة، وقيل: إنه حينما حضر الإمام الحسين عليه السلام عنده كان به رمق، انتبه العباس عليه السلام، وقال: «يا هذا إذا أردت أن تقطع رأسي فاصبر حتى يأتي أخي، وألقي عليه نظرة أخيره».

فقال له الحسين عليه السلام: «هذا أنا أخوك»، ووضع

رأس العباس في حجره.

فتقول هذه الرواية: إن أبا الفضل رفع رأسه ووضعها على التراب، فقال له أبو عبد الله الحسين عليه السلام: لِمَ تفعل ذلك يا أخي؟.

فقال -وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة-: يا أخي؛ أنت تضع رأسي الآن في حجرك، فَمَنْ يضع رأسك في حجره بعد ساعة؟.

وسواءً صَحَّتْ هذه الرواية أم لا، فإن مجمل سلوك العباس عليه السلام تجاه أخيه يدل على هذا النوع من التعامل.

هكذا واسى أخاه في لحظة الوفاة، كما واساه في رمي الماء على الماء وهو يتلظى عطشاً مواساة لأخيه وأهل بيته الطاهرين.

إضاءة

■ البطولة لا تعني مجرد مُنازلة الأقران، بل جملة صفات إنسانية سامية كالشجاعة والإباء والتضحية والوفاء والمواساة. وهكذا كان العباس.





(٤)

النصوص تشيد بالعباس

قال الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام في حق عمّه العباس: «رَحِمَ اللَّهُ الْعَبَّاسَ فَلَقَدْ آثَرَ وَأَبْلَى، وَفَدَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ، فَأَبْدَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِمَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا جَعَلَ لِيَجْعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَإِنْ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَنَزَلَةٌ يَغْبِطُهُ بِهَا جَمِيعُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وهكذا بيّنت الرواية الشريفة، صفة المواساة والإيثار عند أبي الفضل عليه السلام، وصفة التضحية والفداء، كما بيّنت جزاء الله سبحانه له ممّا يجعل سائر الشهداء

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٩٨.

ومنهم حمزة وجعفر و.. و.. يغطونه على عظيم منزلته عند الله.

وهذا النص عظيم الدلالة على فضائل العباس عليه السلام، إلا أن أهم النصوص التي وردت فيه هي الزيارات التي توارثها الموالون لأهل البيت عليهم السلام عبر التاريخ حتى وصلت إلينا، والتي عبّرت عن مدى تقدير الأئمة المعصومين عليهم السلام للعباس.

وقد روى أبو حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام.

ونحن نتأمل معاً في فقرات هذه الزيارات، لعلنا نعرف شيئاً عن شخصية العباس عليه السلام فنقتدي به.

تقرأ في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام أول ما ندخل في رحاب ضريحه: «سَلَامُ اللَّهِ، وَسَلَامُ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ، وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَجَمِيعِ الشُّهَدَاءِ وَالصُّدِّيقِينَ، وَالزَّكَايَاتِ الطَّيِّبَاتِ فِيمَا تَغْتَدِي وَتَرُوحُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ...».

إن نهج العباس عليه السلام كان نهج الأنبياء والصديقين والصالحين عبر التاريخ، بل جاء العباس عليه السلام، كما جاءت ملحمة الشهادة في كربلاء، لترسيخ أصول هذا

النهج الإلهي، فاستحق سلام الأنبياء والرbanين جميعاً.
 فبالشهادة، وبتلك الدماء الزاكيات.. حفظ الله
 سبحانه مواريث الأنبياء من الضياع في زحمة أساطير
 الطغاة، وهكذا كان الإمام الحسين عليه السلام وريث الأنبياء
 جميعاً.

وعلينا أن نعي أبدأً هذه الحقيقة؛ أن الإيمان لا يتجزأ.
 فلا يمكن أن يؤمن أحد بنبي دون آخر، أو بوصي دون
 الثاني، أو يُفرّق بين أحد منهم.

كلّاً.. إنه نهج واحد لا يختلف، ولا يشدّ بعضه
 عن بعض في شيء. وهكذا سلام الأرواح الزاكيات
 الطيبات فيما تغتدي وتروح على العباس، كما سلام
 الأنبياء والملائكة والصالحين.

بعد هذا السلام الطاهر الطيب تقول الزيارة: «أشهدُ
 لكِ بالتَّسْلِيمِ والتَّصْدِيقِ وَالْوَفَاءِ».

إنها كلمات تُعبّر عن الصفات المثلى لأبي الفضل؛
 التسليم وهي قمة الصفات. فالتسليم -مثلاً- أعظم
 درجة ينالها البشر في مدارج الإيمان، حيث نتلو في
 القرآن الكريم أن النبي إبراهيم عليه السلام سأل ربّه في أواخر

أيام حياته أن يجعله الله وابنه إسماعيل من المسلمين، حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

ولقد بلغ العباس عليه السلام درجة التسليم، ونحن نشهد له بذلك. أما التصديق والوفاء فهما تجليات التسليم في حياته، فَمَنْ سلم لله تعالى لا بد أن يُصدّق بولي الله، وأن يُدافع عنه ويصبر ويفي بعهده معه.

إضاءة

■ إن نهج العباس كان نهج الأنبياء والصديقين عبر التاريخ، بل جاء العباس، كما جاءت ملحمة الشهادة في كربلاء، لترسيخ أصول هذا النهج الإلهي.

بلى.. كان تصديق سيدنا العباس عليه السلام بأخيه إماماً وحُجَّة، والشهادة على ذلك باتباعه وطاعته والإخلاص له. كان ذلك دليلاً على تسليمه القلبي، وإيمانه الصادق، ويقينه.

وهذه هي الصفة التي تقل عند الكثير مِمَّن يدَّعي

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

الإيمان، ولكنه لا يُصدّق بالولاية، ولا يستقيم عليها عند الشدائد.

ثم تقول الزيارة: «وَالنَّصِيحَةَ لِخَلْفِ النَّبِيِّ عليه السلام وَالْمُرْسَلِ، وَالسَّبْطِ الْمُتَجَبِّ، وَالذَّلِيلِ الْعَالِمِ، وَالْوَصِيِّ الْمُبْلَغِ، وَالْمَظْلُومِ الْمُهْتَظَمِ».

كان أبو الفضل ناصحاً لإمام زمانه حين اتّبع إمام زمانه، وأخلص له، ومَحَضَّ له الولاء والحب والتضيحة، ولم يأل جهداً في تنفيذ أوامر إمامه المعصوم.

والزيارة تنعت الإمام الذي اتّبعه سيدنا العباس بالنعوت التالية:

ألف: إنه ذرية رسول الله، وإنه سبط الذي اختاره الله للإمامة. وهذا صادق فقط في الإمام المعصوم، وعلينا الاقتداء بالعباس في التسليم للإمام الحسين عليه السلام.

باء: إنه دليل عالم بالحق، وهي صفة تشمل كل إمام معصوم، بل كل إمام عادل منصوب من قبل الإمام المعصوم كما الفقهاء العدول.

جيم: إنه وصي ناطق بالحق، مُبْلَغ له، وهذه صفة

تشمل سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام.

دال: إنه مظلوم مُغْتَصَبٌ حَقُّهُ.

فلم يكن أتباع العباس للإمام الحسين عليه السلام نابعاً عن قيام الإمام بالسيف، أو أنه كان مبسوط اليد. إذ السلطة ليست معياراً للإمامة، بل القيم الإلهية هي المعيار، وهي التي سبقت آنفاً من الوصية والعلم والدعوة.

ثم تقول الزيارة: «فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام، أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، بِمَا صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَأَعَنْتَ، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾».

لقد صبر وصبره كان احتساباً لله؛ وتقرباً إليه، وهو الصبر المطلوب. كما أتعب نفسه في طاعة الله.

إنه درس عظيم لنا جميعاً، كيف نجاهد في سبيل الله، ونصبر على كل أذى، من كلمة نابية، تقذفها ألسنة الأعداء البذيئة، ومن ملاحقة دائمة من قبل السلطات الجائرة، ومن جروح دامية وبالتالي الشهادة.. كلها تهون عندما تكون في سبيل الله وابتغاء مرضاته واحتساباً لديه.

ثم تُضيف الزيارة: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ جَهِلَ حَقَّكَ، وَاسْتَحَفَّ بِحُرْمَتِكَ».

بلى.. كان حق العباس عليه السلام عظيماً، حتى استحق جاهلوه ومنكروه اللعنة؛ وكانت حرمة عظيمة، استحق اللعنة أولئك الذين انتهكوها، وقد تمثل جهلهم وانتهاكهم لحقه وحرمة في منعه من الفرات، حيث تقول الزيارة: «وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَاءِ الْفُرَاتِ. أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُوماً، وَأَنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ».

والشهادة بأن أبا الفضل قُتِلَ مظلوماً، شهادة على أن مسيرة أبي الفضل كانت مسيرة حق؛ وأن كل من قتل مظلوماً وفي سبيل الدفاع عن الحق، فإن الله منجز له ما وعده من نصره في الدنيا ببلاغ التاريخ أنه كان مظلوماً، وفي الآخرة بالجنة خالداً فيها.

وبعد أن بينت الزيارة المأثورة مقام سيدنا العباس عليه السلام ومنهجه الإلهي، أخذت تُبين موقف المؤمن وما ينبغي أن يكون عليه موقف الموالي الواقف أمام ضريحه، تلقاء سيده ومولاه العباس عليه السلام، فتقول الزيارة: «جِئْتُكَ

يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَافِدًا إِلَيْكُمْ، وَقَلْبِي مُسَلَّمٌ لَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ تَابِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ، إِنِّي بِكُمْ وَبِإِيَابِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِمَنْ خَالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَتَلَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلْتَكُمْ بِالْأَيْدِي وَالْأَلْسُنِ.

هكذا يجب أن نجدد -نحن الموالين- عهد الولاء والبيعة لخط أهل البيت عليهم السلام، ولنهجمهم في الحياة. ونعلن بصراحة أننا مستعدون لأن نُضْحِي بأنفسنا في أية لحظة من أجل تطبيق أحكام الدين، أما الواجبات المفروضة علينا، والتي تُشكّل ميثاق الولاء، وعهد البيعة فهي التالية:

ألف: الولاء والتسليم؛ أي الطاعة التامة دون تردّد لأهل البيت عليهم السلام ولخطّهم الرسالي.

باء: والاستعداد للدفاع عن حرّيات الإسلام بالمال والنفس، وبكل وسيلة ممكنة.

جيم: الاستقامة على نهجهم، والبراءة من نهج أعدائهم.

دال: الثقة بانتصار الحق المتمثل في الأئمة عاجلاً

أم آجلا.

وهذا هو ما نجده في هذه الزيارة، كما نقرأه في سائر الزيارات الماثورة عند أضرحة أهل البيت عليهم السلام.

ثم تستمر الزيارة بالقول: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام. السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَرِضْوَانُهُ وَعَلَى رُوحِكَ وَبَدَنِكَ. أَشْهَدُ وَأُشْهَدُ اللَّهُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْبَدْرِيُّونَ، الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْمُنَاصِحُونَ لَهُ فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ، الْمُبَالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ، الذَّابُّونَ عَنْ أَحِبَّائِهِ».

إضاءة

■ لقد بلغ العباس بن علي درجة التسليم، أما التصديق والوفاء فهما تجليات التسليم في حياته، فَمَنْ سَلِمَ لِلَّهِ تَعَالَى لَا بَدَّ أَنْ يُصَدِّقَ بُولِي اللَّهِ.

وهذه شهادة حق تنبعث من فم الإمام المعصوم؛ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، على أن طريق العباس عليه السلام كان طريق أهل بدر، ومن هم البدريون؟.

إنهم الذين ساهموا في ترسيخ دعائم الرسالة الإلهية، واستبسلوا في الدفاع عن رسول الله ﷺ، وهم قلة قليلة وواجهوا عدواً يفوقهم عدداً وعدة. وكذلك العباس عليهما السلام وأنصار الحسين عليهما السلام ساهموا في ترسيخ أصول الحق في مواجهة الردّة التحريفية لبني أمية، وواجهوا الأعداء الشرّسين، وقاتلوا حتى قُتلوا، وكان التقدير الإلهي أن يجعل من شهادتهم نصراً لرسالتهم، ومن دمائهم شهادة على صدقهم.

وكانت المواجهة بحاجة إلى أسمى درجات النصيحة والصبر، والمبالغة في الدفاع عن الحق، والذبّ عن أحباء الله. وهكذا كانت أعظم معركة، وأسمى ملحمة، وأعلى درجات الشهادة.

وبعد هذه الشهادة الرائعة نقرأ قول الإمام الصادق عليهما السلام في زيارة عمه العباس عليهما السلام: «فَجَزَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، وَأَكْثَرَ الْجَزَاءِ، وَأَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَأَوْفَى جَزَاءِ أَحَدٍ مِمَّنْ وَفَى بِيَعْتِهِ، وَاسْتَجَابَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَأَطَاعَ وُلاَةَ أَمْرِهِ».

وهنا نجد مرة أخرى التأكيد على صفة التسليم، والطاعة لولي الأمر. وتقول الزيارة: «وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ

بَالُغْتَ فِي النَّصِيحَةِ، وَأَعْطَيْتَ غَايَةَ الْمَجْهُودِ».

وهذه دلالة أخرى على المقام الأسمى لأبي الفضل العباس، حيث قدم غاية المجهود، وبالغ في النصيحة حتى المنتهى.

ثم تقول الزيارة: «فَبَعَثَكَ اللَّهُ فِي الشُّهَدَاءِ، وَجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ، وَأَعْطَاكَ مِنْ جَنَانِهِ أَفْسَحَهَا مَنْزِلًا، وَأَفْضَلَهَا غُرْفًا، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيِّينَ، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا».

وهكذا ترسم الزيارة منهج المجاهدين، وأن هدفهم ليس بلوغ السلطة، ولا الحصول على مقام رفيع؛ وإنما هدفهم الأسمى أن ينعموا بالجنة، وإنما يتنافسون بينهم للحصول على أعلى درجات الجنة وأسمائها.

ثم نقرأ في بقية الزيارة: «أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ، وَلَمْ تَنْكُلْ، وَأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ».

وهنا تأكيد على صفة البصيرة التي كانت لأبي الفضل العباس، وهي صفة تتصل باليقين. والشهادة بالاستقامة التامة للعباس عليه السلام درس لنا بأن نفتدي به في ذلك،

كما أنه اقتدى بِمَنْ سَبَقَهُ، حيثُ تُضيفُ الزيارة: «مُقْتَدِيًا
بِالصَّالِحِينَ، وَمُتَّبِعًا لِلنَّبِيِّينَ. فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ
وَبَيْنَ رَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فِي مَنَازِلِ الْمُخْبِتِينَ، فَإِنَّهُ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ»^(١).

إضاءة

■ لم يكن أتباع العباس
للإمام الحسين نابعاً
عن قيام الإمام بالسيف،
أو أنه كان مبسوط اليد،
إذ السلطة ليست معياراً
للإمامة، بل القيم
الإلهية هي المعيار.

ونعلم أن المُخْبِتِينَ
لهم المنزلة السَّامِيَّةُ،
والدرجة الرَفِيعَةُ.
وحيثما يدعو الإمام
الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في زيارته
لعمِّه أن يرزقه الله منازل
المُخْبِتِينَ، فإن ذلك
يعني دعوة تتناسب مع
مقام أبي الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ. ذلك المقام الأسمى،
وهو مقام الإخبات. ويبدو أن الإخبات من درجات
الإيمان والتسليم العالية، حيث قال سبحانه: ﴿وَلْيَعْلَمْ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ
لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿فَالِهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ

(١) كامل الزيارات، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) سورة الحج، آية: ٥٤.

أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿١﴾.

وهكذا جاءت صفة الإخبات بعد صفة الإيمان وصفة التسليم.

وفي الجانب الآخر من هذه الزيارة نقراً: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ الْعَبَّاسَ بْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَوَّلِ الْقَوْمِ إِسْلاماً، وَأَقْدَمَهُمْ إِيْمَاناً، وَأَقْوَمَهُمْ بِدِينِ اللَّهِ، وَأَحْوَطَهُمْ عَلَى الْإِسْلامِ».

وهنا ذكر لمقام أبي الفضل من ناحية وراثته لصفات والده. فإذا سما أبو الفضل إلى ذروة التسليم والنصيحة والجهاد والدفاع عن أخيه الحسين عليه السلام وعن الإسلام، فلا غرو فإنه ابن أول القوم إسلاماً، وأقدمهم إيماناً، وأقومهم بدين الله، وأحوطهم على الإسلام. فمن ذلك الأسد هذا الشبل، وإن ذلك الأب يكون والد حق لمثل هذا النجل العظيم.

ثم يمضي الإمام عليه السلام في زيارته لأبي الفضل العباس قائلاً: «أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ

(١) سورة الحج، آية: ٤٣.

وَلَاخِيكَ، فَنِعْمَ الْأَخُ الْمُوَاسِي. فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ،
وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً اسْتَحَلَّتْ مِنْكَ
الْمَحَارِمَ، وَانْتَهَكَتْ حُرْمَةَ الْإِسْلَامِ».

أنرى كيف، وإلى أي مدى بلغ مقام أبي الفضل،
حيث إن انتهاك حرمة كان انتهاكاً لحرمة الإسلام؟.

«فَنِعْمَ الصَّابِرُ الْمُجَاهِدُ الْمُحَامِي النَّاصِرُ، وَالْأَخُ
الدَّافِعُ عَنْ أَخِيهِ، الْمُجِيبُ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، الرَّائِبُ فِيمَا
زَهَدَ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالشَّانِ الْجَمِيلِ».

لقد كان أبو الفضل هو الصابر المجاهد والمحامي
الناصر، والمدافع عن أخيه، ولكن ليس دفاعاً عن
عصبيته، وإنما استجابة لدعوة ربّه، ورغبة في ثواب
ربّه. وكل هذه الصفات التي تُذكر في الزيارة هي القيم
المثلى التي ينبغي للمؤمن بنهج أهل البيت عليه السلام أن
يقتدي بالعباس فيها.

ثم تستمر الزيارة: «فَالْحَقَّ اللَّهُ بِدَرَجَةِ آبَائِكَ فِي دَارِ
النَّعِيمِ».

ثم يدعو المؤمن ربّه بالكلمات التالية: «اللَّهُمَّ إِنِّي
تَعَرَّضْتُ لِزِيَارَةِ أَوْلِيَائِكَ، رَغْبَةً فِي ثَوَابِكَ، وَرَجَاءً

لِمَغْفِرَتِكَ، وَجَزِيلِ إِحْسَانِكَ؛ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَنْ تَجْعَلَ رِزْقِي بِهِمْ دَارًا،
وَعَيْشِي قَارًا، وَزِيَارَتِي بِهِمْ مَقْبُولَةً، وَحَيَاتِي بِهِمْ طَيِّبَةً،
وَأَذْرَجَنِي إِدْرَاجَ الْمُكْرَمِينَ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْقَلِبُ مِنْ
زِيَارَةِ مَشَاهِدِ أَحِبَّائِكَ، مُنْجَحًا قَدْ اسْتَوْجَبَ غُفْرَانَ
الدُّنُوبِ، وَسَتَرَ الْعُيُوبِ، وَكَشَفَ الْكُرُوبِ، إِنَّكَ أَهْلُ
التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ»^(١).

إضاءة

■ لقد ساهم العباس مع أنصار الحسين في
ترسيخ أصول الحق في مواجهة الرِّدَّةِ التحريفية
الأموية، وقاتلوا حتى قُتِلُوا، وكان التقدير
الإلهي أن يجعل من شهادتهم نصراً لرسالتهم.

(١) بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٢١٩-٢١٩.





(5)

الرسالة بين الإمام والنصير

دور الشخص الثاني في مسيرة الدفاع عن الرسالة دورٌ هامٌ وجِدِّيٌّ، ألا ترى كيف أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان دوره العظيم في الدفاع عن الإسلام، وعن القرآن، وعن رسول الله ﷺ دوراً أساسياً؟. وكذلك كان دور أبي الفضل العباس عليه السلام بالنسبة إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وكما كان دور مالك الأشر للدفـاع عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وفيما يتصل في حياة الأنبياء كان هكذا دور هارون بالنسبة إلى موسى بن عمران عليه السلام.

إن الشخص الثاني في مسيرة الرسالة حينما يذوب وينصهر في شخصية القائد الأول ويُدافع عنه، ويُبالغ

في احترامه، ونُصرتِه والنصيحة له، يضرب المثل الصالح للآخرين، ولَمَّا يجب أن يكونوا عليه تجاه القائد. فلقد ضرب الإمام علي عليه السلام أروع الأمثلة للمنهج الذي كان ينبغي للمسلمين أن يتعاملوا به مع رسول الله ﷺ. وهذا كان أمراً مهماً، لأن الناس يُمكنهم أن يقتدوا برسول الله ﷺ في أمور كثيرة، ما عدا أمر واحد، وهو كيفية احترام الرسول الأعظم ﷺ، ونوعية الدفاع عنه، ومنهجية التعامل معه.

وفيما يتصل بهذا الجانب، تحتاج الأمة إلى قدوة عملية، وكان الإمام علي عليه السلام هو ذلك القدوة، حيث علّم الناس كيفية التعامل مع رسول الله ﷺ، وكيف ينبغي احترام مقامه، وكيف ينبغي أنه يفديه بنفسه في منامه في فراشه في ليلة الهجرة، وفي دفاعه عنه في الحروب، وكيف كان يذب عنه، ويقي نفسه بنفسه.. ولولا الإمام علي عليه السلام وهذه المنهجية لم يعلم المسلمون كيف يتعاملون مع رسول الله ﷺ، ولعلّهم كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته، ويتقدّمون عليه، ورُبّما يُخاطبونه كما يُخاطب بعضهم بعضاً، وقد مرّت عشرات السنين على رحيل رسول الله ﷺ،

وسئل الإمام علي عليه السلام لِمَ لا يختضب؟ فقال عليه السلام:
نحن في عزاء رسول الله.

وقُيِّلَ شهادته يسأله إصبغ بن نباته ويقول له: أنت
أفضل أم محمد؟ فيقول الإمام علي عليه السلام له: أنا عبد
من عبيد محمد.

لقد كان الإمام علي عليه السلام تجلياً لشخصية رسول الله
ﷺ وأخلاقه وعلمه، وآية لصدق رسالته، ومبالغاً في
الدفاع عن رسالته.

وهكذا كان سيدنا العباس عليه السلام بالنسبة إلى أخيه
وإمامه وحجة الله عليه والسبط المنتجب الحسين
عليه السلام.

كان العباس عليه السلام فقيهاً من فقهاء أهل البيت عليهم السلام،
وكان القائد الشجاع والكريم المضياف، والعابد الزاهد،
وكان بالتالي شخصية متكاملة من جميع الجهات،
ولكنه كان منصهراً في شخصية أخيه الحسين عليه السلام،
ومبالغاً في طاعته والنصيحة له، وهكذا عرف الناس
كيف ينبغي أن يتعاملوا مع الإمام عليه السلام.

لقد عرفهم عملياً مقام أبي عبد الله الحسين عليه السلام،

ذلك لأن أكثر الناس لا تسمو البصيرة بهم إلى معرفة مقام الأئمة المعصومين، ومقام ولايتهم. وهكذا نجد النبي موسى عليه السلام يدعو ربّه أن يجعل له وزيراً من أهله، حيث يذكر لنا القرآن ذلك بالقول: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾^(١).

وهكذا علينا أن نفقه مقام الأئمة المعصومين عليهم السلام، ومن نصّبهم الأئمة من العلماء الربانيين، نفقه مقامهم، ومنهج التعامل معهم من خلال معرفة سيرة أبي الفضل العباس عليه السلام والتي نعرفها من خلال زيارته التي تلونها أنفأً. ذلك لأنه لا يسمو كل الناس إلى مستوى القيادة، ولكن كل الناس يتعاملون مع القيادة؛ وأبو الفضل العباس عليه السلام يُعطيك المنهج الأمثل في الدفاع عن الدين، وعن أهل بيت الرسالة، وعن القيادات الشرعية التي فرض عليك طاعتهم واتباعهم والدفاع عنهم. وهذا درس عظيم نتعلّمه من أبي الفضل، وإنه لدرس هامٌّ لأنه يساهم في بناء التجمّع الرسالي، والبنيان التوحيدي بناءً

(١) سورة طه، الآية ٢٥-٣٢.

رصيناً قوياً قادراً على تحدي أعاصير الفتنة، وعواصف الشهوات.

فسلام الله عليك يا أبا الفضل العباس يوم وُلِدْتَ للدفاع عن الحسين، ويوم استشهدت في سبيل الإسلام تحت راية الحسين، وحين تُبعث حياً مع الحسين سلام الله عليكما ورحمته وبركاته.

إضاءة

■ علينا أن نفقه مقام الأئمة المعصومين، ومَنْ نصَّبهم الأئمة من العلماء الربانيين، وأيضاً منهج التعامل معهم وذلك من خلال معرفتنا لسيرة العباس بن علي.





(6)

الوداع

حينما انطلق أبو الفضل العباس عليه السلام كالسهم إلى
المشرعة، يحمل السَّقاء والسيف واللواء، وقف الحسين
عليه السلام على مقربة من المخيم يستشرف المعركة، ولعل
بعض النسوة من أهل البيت كُنَّ يَرْمُقْنَ وجه الحسين،
لأن في وجهه كانت ترسم صورة تلك المعركة الفاصلة.

يقتحم العباس المشرعة، يَفِرُّ المدافعون عنها فرار
المَعزَى عن الأسد الهصور، يحمل الماء ويأتي به.
ولعل هذه الصور المشرقة كانت ترسم في ملامح سيد
الشهداء عليه السلام فتزداد إشراقاً وانشراحاً.

ولكن العباس عليه السلام يختار طريقاً قريباً إلى المخيم،

وهو طريق النخيل، فيكمن له الأعداء بينها، وينادي
عمر بن سعد بجنده البالغ عددهم ثلاثين ألفاً، لا تدعو
العباس يصل إلى أصحاب الحسين، فإنهم لو شربوا
الماء لم يَنْجُ أحد منكم من المقتل.

وهكذا تتعباً كل القوات ضد البطل؛ أربعة آلاف
من الرماة يُوجّهون نبالهم على العباس.. وينتشر سائر
المقاتلين بين النخيل ليحولوا بين العباس وبين المخيم.
فيكمن بعضهم له بين النخيل، ويقطعون يمينه ثم يساره،
ولكن العباس ينطلق كالسهم إلى المخيم لعله ينجح في
مهمته التي أمره بها الإمام الحسين عليه السلام.

كانت لحظات حاسمة، وكانت السهام تتقاطر عليه
كوابلٍ من المطر، وكان العباس عليه السلام يرتجز ويقول:

لا أَرْهَبُ الموتَ إذا الموتَ رَقَا
حتّى أُوَارِى في المصاليث لِقَى
نفسي لنفس المصطفى الطهر وقَا
إنّي أنا العباس أغدو بالسّقا
ولا أخاف الشر يوم المُلتقى^(١)

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٠.

فجاء سهم فأصاب القربة وأريق ماؤها، ثم جاءه سهم آخر فأصاب صدره فانقلب عن فرسه وصاح إلى أخيه الحسين: أدركني.

فلما رآه صريعاً بكى، وقال: «الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي».

وقالت رواية: «ضربه ملعون بعمود من حديد، فلما رآه الحسين عليه السلام أنشأ يقول:

تعدّيتُم يا شرَّ قومٍ بيغيكم
وخالفتم دين النبي محمد
أما كان خير الرسل أوصاكم بنا؟
أما نحن من نجل النبي المُسدّد؟
أما كانت الزهراء أُمي دونكم؟
أما كان من خير البرية أحمد؟
لُعِنْتُمْ وأُخِزْتُمْ بما قد جنّيتُم
فسوف تلاقوا حرّاً نارٍ تَوَقَّدُ^(١)

وعاد الإمام الحسين عليه السلام إلى المخيم، وارتسمت على مُحيّاه علامات حزينة.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٠.

لقد فَقَدَ نصيره الأول، وصاحب لوائه، والعلامة من عسكره. تقول الرواية: إنه لم يخبر النسوة بمصرع أخيه العباس، وإنما تقدَّم نحو خيمته وأنام عمودها، وبهذه العلامة عرفت النسوة أن صاحب هذه الخيمة قد استشهد.

وقد أجاد الشاعر حين قال:

عمد الحديد بكر بلاء خسف القمر
من هاشم فلتبكه علياً مضر
فمشى إليه السبط ينعاه كسر
ت الآن ظهري يا أخي ومعيني
فسلام الله عليك يا أبا عبد الله، وسلام الله على
أخيك وناصرك العباس، وعلى الدماء السائلات بين
يديك ورحمة الله وبركاته.

إضاءة

■ يقدم لك العباس بن علي بجهاذه المنهج
الأمثل في الدفاع عن الدين، وعن بيت
الرسالة، وعن القيادات الشرعية التي فرض
عليك طاعتهم واتباعهم والدفاع عنهم.



(٧)

أبو الفضل في أدب الرثاء

ملاحم البطولة عند أبي الفضل العباس عليه السلام أثارت
كوامن الحب عند الشعراء، ففاضت منها القصائد
الرائعة التي لازالت المنابر الحسينية تُردِّدها، فترتوي
منها القلوب العامرة بحب أهل البيت عليهم السلام، والضامنة
إلى ذكرهم العطر، ونحن نختار في نهاية كتابنا بعضاً من
تلك القصائد التي تُنير درب أصحاب البصائر.

١- والعباس فيهم ضاحك متبسم^(١)

عَبَسَتْ وَجُوهُ الْقَوْمِ خَوْفَ الْمَوْتِ وَالـ
عَبَّاسُ فِيهِمْ ضَاحِكٌ مُتَبَسِّمٌ

(١) للشاعر الموالى السيد جعفر الحلي رحمته الله، انظر ديوانه (سحر بابل)،
ص ٤٣٠-٤٣١.

قَلْبَ الْيَمِينِ عَلَى الشُّمَالِ وَغَاصَ فِي الْـ
 أَوْسَاطٍ يَحْصُدُ فِي الرُّؤُوسِ وَيَحْطِمُ
 وَثْنَا أَبُو الْفَضْلِ الْفَوَارِسِ نُكَّصَاً
 فَرَأَوْا أَشَدَّ ثَبَاتِهِمْ أَنْ يُهْزَمُوا
 مَا كَرَّ ذُو بَأْسٍ لَهُ مُتَقَدِّمًا
 إِلَّا وَفَرَ وَرَأْسَهُ الْمُتَقَدِّمُ
 صَبَغَ الْخِيُولَ بِرَمَحِهِ حَتَّى غَدَا
 سَيَانَ أَشْقَرَ لَوْنَهَا وَالْأَدْهَمُ
 بَطَلٌ تَوَرَّتْ مِنْ أَبِيهِ شَجَاعَةً
 فِيهَا أَنْوْفُ بَنِي الظَّلَالَةِ تُرْغَمُ
 عَرَفَ الْمَوَاعِظَ لَا تُفِيدُ بِمَعَشَرٍ
 صُمُّوا عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ كَمَا عُمُوا
 فَانْصَاعَ يَخْطُبُ بِالْجَمَاجِمِ وَالْكَلا
 فَالسَّيْفُ يَنْشُرُ وَالْمُثَقَّفُ يَنْظُمُ
 أَوْتَشْتَكِي الْعَطَشَ الْفَوْطَمَ عِنْدَهُ
 وَبَصْدَرَ صَعْدَتِهِ الْفُرَاتَ الْمُفْعَمُ
 فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى السَّقَاءُ يُقِلُّهُ
 وَبِكَفِّهِ الْيُمْنَى الْحُسَامُ الْمُخَذَّمُ

قسماً بصارمه الصَّقيل وإنني
 في غير صاعقة السَّما لا اقسِمُ
 لولا القضا لمحي الوجود بسيفه
 واللَّه يقضي ما يشاء ويحكمُ
 حسمت يديه المرهفات وإنه
 وحُسامه من حدَّهن لأحسمُ
 فغدا يهْمُ بأن يصول فلم يُطوقُ
 كالليث إذ أظفاره تتقلَّمُ
 وهوى بجنب العلقمي فليتهُ
 للشاريين به يُداف العلقمُ
 فمشى لمصرعه الحُسين وطرفه
 بين الخيام وبينه مُتَقَسِّمُ
 ألفاه محجوب الجمال كأنه
 بدرٌ بمُنْحَطِمِ الوشيج مُلثَمُ
 فأكب منحنياً عليه ودمعه
 صبغ البسيط كأنما هو عَندَمُ
 قد رامَ يَلِثْهُ فلم يَرِ موضعاً
 لم يُدْمِه عَضُّ السلاح فيلثمُ

٢- أحمى الضائعات^(١)

يا أبا الفضلِ قُمْ أَلَسْتَ الذي قد
 كُنْتَ لي مُسْعِداً إذا الدَّهْرُ نابا؟
 أو لَسْتَ الذي إذا ما مهيَّبٌ
 هبَّ للحربِ لم تكن هيابا؟
 كُسِرَ اليومَ بافتقاركَ ظهري
 وقناتي فُلَّتْ وظنِّي خابا
 يا بني هاشم وآل نزارٍ
 بدركُم قد هوى فقومُوا غِضابا
 فلَّ حَدِّي وثَلَّ مجدي فقوموا
 وأزيلوا عن الرؤوس الترابا
 وانشئ للخِبا مُحْدَوِدَ الظهرِ
 تردَّى من الأسى جِلْبَابا
 فرأته مخدرات بني الوحي
 فشقت من الخدور حجابا
 نادبات بالندب أين حمانا؟
 أين ما كان في الخطوب مآبا؟

(١) للشاعر الموالى الشيخ عبد الحسين شكر رَحِمَهُ اللهُ، انظر ديوان شكر، ص ١٢.

فدعا: يا بنات أحمدَ صبراً
 عظم الله أجركم والثوابا
 إن دهرى عليّ فوقَ سهماً
 ورمى كفَّ عزمي فأصابا
 فدعت والعيون تذرف دمعاً
 يُخجل السيل صوبه والسحابا
 أحمى الضائعات من لو دعاه
 فوق هامّ السهى مروعٌ أهابا
 أوحش الحرب فقده في نهارٍ
 وبليلٍ قد أوحش المحرابا

٣- استجار به الهدى^(١)

يا للرجال لحادث متفاقم
 لو حلّ هابطة لدان شمامها
 فانهض إلى الذكر الجميل مُشمراً
 فالذكر أبقى ما اقتنته كرامها

(١) للشاعر الأديب الشيخ محمد رضا الأزري رحمته الله، وقد أخذنا من القصيدة بعض أبياتها.

أو ما أتاكَ حديث وقعة كربلا
 أننى وقد بلغ السماء قتامها
 يومٌ أبو الفضل استجار به الهدى
 والشمسُ من كدر العجاج لثامها
 فحمى عريته ودمدم دونها
 ويذب من دون الشرى ضرغامها
 والبيض فوق البيض تحسبُ وقعها
 زجل الرعود إذا اكفهرَ غمامها
 من باسل يلقي الكتية باسمًا
 والشوس يرشح بالمنية هامها
 وأشمٌ لا يحتل دار هزيمة
 أو يستقلُّ على النجوم رغامها
 أولم تكن تدري قريش أنه
 طلاع كل ثلية مقدامها
 بطل أطل على العراق مُجلىً
 فاعصوبت فرقاَ تمرور لثامها
 وشى الكرام فلا ترى من أمة
 للفخر إلا ابن الوصي أمامها
 هو ذاك موئل رأيها وزعيمها
 لو جلَّ حادثها وكَدَّ خصامها

وأشدها بأساً وأرجحها حجاً
لو ناص موكبها وزاغ قوامها
من مقدم ضرب الجبال بمثلها
من عزمه فتزلزلت أعلامها
ولكم له من ضربة مُضرية
قد كاد يُلحق بالصحاب ضرامها
أغرت به عُصَب ابن حرب فاشتت
كامي الجباه مطاشة أحلامها
ثم انثنى نحو الفرات ودونه
حلبات عارية يصل لجامها
فكأنه صقرباً على جَوْها
جَلَا فحلَّق ما هناك حمامها
فهنا لكم مَلِك الشريعة واتكى
من فوق قائم سيفه قِمقامها
فأبت نقيبته الزَّكِيَّة رِيَّها وحشاً
ابن فاطمة يشبُّ ضرامها
حصمت يديه يد القضاء بمبرم
ويد القضا لم يتقض أبرامها
واعتاقه شرك الردى دون الورى
إن المنايا لا تطيش سهامها

الله أكبر أي بدر خَرَّ عن أفق
 الهداية واستشاط ظلامها
 فَمَنْ الْمُعْزِي السَّبْط سبط محمد
 بفتى له الأشراف طأطأ هامها
 وأخ كريم لم يَخُنْه بمشهد
 حيث السُّرَات كبابها أقدامها
 تالله لا أنسى ابن فاطم إذ جلا
 عنه العَجَاجَة يَكْفَهُرُ قِتامها
 ولقي به نحو المخيم حاملاً
 من شاهقي علياء عزّ مرامها
 وهوى عليه ما هنالك قائلاً
 اليوم بان عن اليمين حُسامها
 اليوم سار عن الكتائب كبشها
 اليوم بان عن الهداة إمامها
 اليوم آل إلى التفرُّق جمعنا
 اليوم حلَّ عن البُنُود نظامها
 اليوم نامت أعينُ بك لم تَنَم
 وتسهدت أخرى فعزّ منامها
 أشقيق روعي هل تراك علمت
 إذا غودرت وأنثالت عليك لئامها

إن خلت أطبقت السماء على الثرى
أو دكدكت فوق الرُّبى أعلامها
لكن أهان الخطب عندي أنني
بك لاحق أمراً قضى علّامها

٤- كسرت الآن ظهري^(١)

هيهات أن تجفو الشُّهاد جُفُوني
أو أن داعية الأسى تجفوني
أتى ويومُ الطفِّ أضرم في الحشا
جذواتٍ وجدٍ من لظى سجينِ
يومٌ أبو الفضلِ استفزّت بأسه
فتيات فاطم من بني ياسينِ
في خير أنصارٍ براهيم ربُّهم
للدينِ أوّل عالم التكوينِ
فرقى على نهد الجزارة هيكَل
أنجن فيه نتائج الميمونِ
متقلداً عَضْباً كأن فرنّده
نقش الأراقم في خطوط بطونِ

(١) للشاعر الأديب الشيخ حسن قفطان رَحِمَهُ اللهُ.

حتى إذا قطعوا عليه طريقه
 بسداد جيشٍ بارزٍ وكمينٍ
 فشنى مُكردسها نواكصٍ وانثنى
 بنفوسها سلباً قرير عيونٍ
 ودعته أسرارُ القضا لشهادةٍ
 رُسمت له في لوحها المكنونِ
 حسموا يديه وهامه ضربوه في
 عمدِ الحديدِ فخرٌ خير طعينٍ
 ومشى إليه السبطُ ينعاه كسر
 تَ الآن ظهري يا أخي ومعيني
 عباسٌ كبشٍ كتيبي وكناتي
 وسريّ قومي بل أعزّ حصوني
 يا ساعدي في كلِّ معتركٍ به
 أسطو وسيفَ حمايتي يميني
 لمن اللوى أُعطي؟ ومن هو جامعٌ
 شملي وفي ضنكِ الزحامِ يقيني؟
 أمانزل الأقران حامل رايتي
 ورواق أخيتي وباب شؤوني؟
 لك موقف بالطف أنسى أهلهُ
 حرب العراق بملتقى صفيين

أَوَلَسْتَ تَسْمَعُ زَيْنًا تَدْعُوكُ
 مِنْ لِي يَا حَمَايَ إِذَا الْعَدَى نَهْرُونِي؟
 أَوَلَسْتَ تَسْمَعُ مَا تَقُولُ سَكِينَةَ
 عَمَّاهُ يَوْمَ الْأَسْرِ مِنْ يَحْمِينِي؟
 كَانَ الرَّجَا بِكَ أَنْ تَحُلَّ وَثَاقَهُمْ
 لِي بِالْحَبَالِ الْمُؤَلَّمَاتِ مَتُونِي
 وَتُجِيرَنِي فِي الْيُتَمِّ مِنْ ضِيمِ الْعَدَى
 وَالْيَوْمِ خَابَتْ مِنْ رَجَاكَ ظُنُونِي
 عَمَّاهُ إِنْ أَدْنُو لَجْسَمِكَ أَبْتَغِي
 تَقْبِيلَهُ بِسَيَاطِهِمْ ضَرْبُونِي
 عَمَّاهُ مَا صَبْرِي وَأَنْتَ مُجَدِّلُ
 عَارٍ بِلا غَسَلٍ وَلَا تَكْفِينِ
 مِنْ مَبْلَغُ أُمِّ الْبَنِينَ رِسَالَةَ
 عَنْ وَالِهِ بِشَجَائِهِ مَرْهُونِ
 لَا تَسْأَلُ الرُّكْبَانَ عَنْ أَبْنَائِهَا
 فِي كَرْبَلَاءَ وَهُمْ أَعَزُّ بَنِينَ
 تَأْتِي لِأَرْضِ الطِّفْلِ تَنْظُرُ وَلَدَهَا
 ثَاوِينَ بَيْنَ مَبْضَعٍ وَطَعِينِ



زيارة العباس بن علي عليه السلام

روى الشيخ الاجل جعفر بن قولويه القمي بسند معتبر عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام قال : اذا أردت زيارة قبر العباس بن علي عليه السلام وهو على شطّ الفرات بحذاء الحبر فقف على باب السقيفة (الروضة) وقُل :

سَلَامُ اللَّهِ وَسَلَامُ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ
وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَجَمِيعِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّدِيقِينَ، وَالزَّكَايَا
الطَّيِّبَاتِ فِيمَا تَعْتَدِي وَتَرْوُحُ عَلَيْكَ يَا بَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،
أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصَدِيقِ وَالْوَفَاءِ وَالنَّصِيحَةِ لَخَلَفِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمُرْسَلِ، وَالسَّبْطِ الْمُتَنَجِّبِ،
وَالدَّلِيلِ الْعَالِمِ، وَالْوَصِيِّ الْمُبْلَغِ، وَالْمَظْلُومِ الْمُهْتَظَمِ، فَجَزَاكَ
اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنْ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ بِمَا صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ
وَأَعْنَتَ فَنَعَمْ عُقْبَى الدَّارِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ
جَهَلَ حَقَّكَ وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ حَالَ بَيْنَكَ
وَبَيْنَ مَاءِ الْفُرَاتِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُومًا، وَأَنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ
لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ، جِئْتُكَ يَا بَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَافِدًا إِلَيْكُمْ،
وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُمْ وَتَابِعٌ، وَأَنَا لَكُمْ تَابِعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ
حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ
عَدُوِّكُمْ إِنِّي بِكُمْ وَبِإِيَابِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِمَنْ خَالَفَكُمْ
وَقَتَلَكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَتَلَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ بِالْأَيْدِي وَالْأَلْسُنِ.

ثم ادخل فانكب على القبر وقُل :

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّم،
السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ وَعَلَى
رُوحِكَ وَبَدَنِكَ، أَشْهَدُ وَأُشْهَدُ اللَّهُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى
بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمُنَاصِحُونَ لَهُ فِي
جِهَادِ أَعْدَائِهِ الْمُبَالِغُونَ فِي نَصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ الذَّابُّونَ عَنْ أَحِبَائِهِ
فَجَزَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، وَكَثَرَ الْجَزَاءِ، وَأَوْفَرَ الْجَزَاءِ،
وَأَوْفَى جَزَاءِ أَحَدٍ مِمَّنْ وَفَى بِبَيْعَتِهِ وَاسْتَجَابَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَأَطَاعَ
وُلاةَ، أَمْرِهِ أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَالِغْتَ فِي النُّصِيحَةِ، وَأَعْطَيْتَ غَايَةَ
الْمُجْهُودِ، فَبَعَثَكَ اللَّهُ فِي الشُّهَدَاءِ، وَجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ أَرْوَاحِ
السُّعَدَاءِ، وَأَعْطَاكَ مِنْ جَنَانِهِ أَفْسَحَهَا مَنْزِلًا وَأَفْضَلَهَا غُرْفًا،
وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيِّينَ، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَّنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا، أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهْنُ
وَلَمْ تَنْكُلْ، وَأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ مُقْتَدِيًا
بِالصَّالِحِينَ، وَمُتَّبِعًا لِلنَّبِيِّينَ، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ
رَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فِي مَنَازِلِ الْمُخْبِتِينَ، فَإِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

أقول: من المستحسن أن يُزار هذه الزيارة خلف القبر مستقبل القبلة كما قال الشيخ في التهذيب، ثم ادخل فانكب على القبر وقُل وأنت مستقبل القبلة: أَسْلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ، واعلم أيضاً أن إلى هنا تنتهي زيارة العباس على الرواية السالفة ولكن السيد ابن طائوس والشيخ المفيد وغيرهما ذيلوها قائلين: ثم انحرف إلى عند الرأس فصل ركعتين ثم صل بعدهما ما بدا لك وادع الله كثيراً وقُل عقيب الركعات :

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلَا تَدْعُ لِي فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمَكْرَمِ وَالْمَشْهَدِ الْمُعْظَمِ ذَنْبًا إِلَّا غُفِرَتْهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَجَتْهُ، وَلَا مَرَضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ، وَلَا عَيْبًا إِلَّا سَتَرْتَهُ، وَلَا رِزْقًا إِلَّا بَسَطْتَهُ، وَلَا خَوْفًا إِلَّا أَمَنْتَهُ، وَلَا شَمَلًا إِلَّا جَمَعْتَهُ، وَلَا غَائِبًا إِلَّا حَفَظْتَهُ وَادْنَيْتَهُ، وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَكَ فِيهَا رِضًى وَلِي فِيهَا صَلَاحٌ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ثم عد إلى الضريح فقف عند الرجلين وقُل:

اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ الْعَبَّاسَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ أَوَّلِ الْقَوْمِ إِسْلَامًا وَأَقْدَمِهِمْ إِيْمَانًا وَأَقْوَمِهِمْ بِدِينِ اللَّهِ، وَأَحْوِطَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَخِيكَ فَنِعْمَ الْأَخُ الْمُؤَاسِي، فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً اسْتَحَلَّتْ مِنْكَ الْمَحَارِمَ، وَانْتَهَكَتْ حُرْمَةَ الْإِسْلَامِ،

فَنِعْمَ الصَّابِرُ الْمُجَاهِدُ الْمُحَامِي النَّاصِرُ وَالْأَخُ الدَّافِعُ عَنْ
 أَخِيهِ، الْمُجِيبُ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، الرَّاعِبُ فِيمَا زَهَدَ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ
 الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ، وَالْحَقَّكَ اللَّهُ بِدَرَجَةِ آبَائِكَ
 فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ، اَللّهُمَّ اِنِّي تَعَرَّضْتُ لِزِيَارَةِ اَوْلِيَانِكَ رَغْبَةً فِي
 ثَوَابِكَ وَرَجَاءً لِمَغْفِرَتِكَ وَجَزِيلِ احْسَانِكَ، فَاسْأَلُكَ اَنْ تُصَلِّيَ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَاَنْ تَجْعَلَ رِزْقِي بِهِمْ دَارًا وَعَيْشِي
 بِهِمْ قَارًا، وَزِيَارَتِي بِهِمْ مَقْبُولَةً وَحَيَاتِي بِهِمْ طَيِّبَةً، وَاَدْرِجْنِي
 اِدْرَاجَ الْمُكْرَمِينَ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْقَلِبُ مِنْ زِيَارَةِ مُشَاهِدِ
 أَحِبَّائِكَ مُفْلِحًا مُنْجِحًا، قَدْ اسْتَوْجَبَ غُفْرَانَ الذُّنُوبِ وَسَرَّ
 الْعُيُوبِ وَكَشَفَ الْكُرُوبِ، اِنَّكَ اَهْلُ التَّقْوَى وَاَهْلُ الْمَغْفِرَةِ .

فاذا أردت وداعه فادن من القبر الشريف وودعه بما ورد في رواية أبي حمزة الثمالي
 وذكره العلماء أيضاً :

اَسْتَوْدِعُكَ اَللهُ وَاسْتَرْعِيكَ وَاَقْرَأْ عَلَيْكَ السَّلَامَ، اَمَنَا بِاللّهِ
 وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اَللهِ، اَللّهُمَّ فَاكْتُبْنَا مَعَ
 الشَّاهِدِينَ، اَللّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِي قَبْرِ ابْنِ
 اَخِي رَسُولِكَ صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي زِيَارَتَهُ اَبَدًا مَا
 أَبْقَيْتَنِي وَاحْشُرْنِي مَعَهُ وَمَعَ آبَائِهِ فِي الْجَنَانِ، وَعَرَّفَ بَيْنِي
 وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِكَ وَاَوْلِيَانِكَ، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ
 مُحَمَّدٍ وَتَوَقَّنِي عَلَى الْاِيْمَانِ بِكَ وَالتَّصَدِيقِ بِرَسُولِكَ

وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْأَنْمَةِ مِنْ وَلَدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُ يَا رَبِّي بِذَلِكَ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

ثم ادع لنفسك ولابويك وللمؤمنين والمسلمين واختر من الدعاء ما شئت.



المحتويات

٧	المقدمة
٩	(١) الدرجة العالية
٢١	(٢) النشأة الهادفة
٢٩	(٣) نافذ البصيرة
٣٧	(٤) النصوص تشيد بالعباس
٥٣	(٥) الرسالة بين الإمام والنصير
٥٩	(٦) الوداع
٦٣	(٧) أبو الفضل في أدب الرثاء
٧٥	زيارة العباس بن علي عليهما السلام
٨٠	المحتويات



يوزع مجاناً

طُبِعَ هذا الكتاب إحياءً لذكرى الشهيد الرسالي (علي الصادق)